معالم الوسطية في السيرة النبوية الشريفة

أ. د. قحطان قدوري مجحم

كلية الإمام الأعظم(رحمه الله) الجامعة / قسم الأنبار

ملخص البحث

لقد جاءت هذه الدراسة مبينة أهم معالم الوسطية في السيرة النبوية الشريفة، وقد بينت في المبحث الأول مفهوم الوسطية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومعاجم اللغة، وتبين أن مفهوم الوسطية مفهوم جامع لمعنى العدل والخير والإستقامة، فهي حق بين باطلين وإعتدال بين طرفين وعدل بين ظلمين ،فالوسطية في الشريعة منهج رباني يمنع العبد من الحيف والجور والتقصير، اما المبحث الثاني فقد إشتمل على بيان مفهوم أوسطية والإعتدال في العقيدة الإسلامية، وتناولت في المبحث الثالث معالم الوسطية في الهدي النبوي الشريف، ثم ختمت هذه الدراسة لأهم النتائج التي توصلت إليها منها ان مصطلح الوسطية، مصطلح شرعي لا يتحقق إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة.

Abstract

This study came to show the most important features of moderation in the honorable biography of the Prophet. In the first topic، it showed the concept of moderation in the Holy Qur'an، the honorable Sunnah and language dictionaries. It was found that the concept of moderation is a comprehensive concept of the meaning of justice، goodness and integrity. Moderation in Sharia is a divine approach that prevents the slave from unfairness، injustice and negligence. As for the second topic، it included a statement of the concept of moderation and moderation in the Islamic faith. In the third topic، it dealt with the features of moderation in the noble Prophet's guidance. Then، this study concluded with the most important results it reached، including that the term Wasatiyah is a legal term that can only be achieved by referring to the Holy Qur'an and the honorable biography of the Prophet.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وأما بعد فأنَّ من أعظم نعم الله على هذه الأمة المحمدية الوسطية بمعانيها الثلاثة: العدالة، والخيرية، والبينية، والتي تدل على شرف هذه الأمة، وعلو مكانتها بين الأمم، وهذه الوسطية شملت جميع جوانب الحياة: علماً وعملاً وسلوكاً ودعوةً وغير ذلك، وقد حرص علماء المسلمين على بيان مفهوم الوسطية ومعالمها وتحقيقها واقعيًّا في حياة المسلمين، فكانت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنموذجاً لفهم الوسطية فهمًا صحيحًاً، وبيان معالمها بيانًاً واضحًاً، وتحقيقها تحقيقًا عمليًّاً، ويُستخلص من البحث أنَّ المفهوم الشامل الكامل للوسطية هو سبيل الوحيد لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم، والعودة بهم إلى جادة الحق والعزة والتمكين في الأرض، ونبذ الغلو والتطرف بكل أشكاله.

إن هذا العلم وارد في نصوص القرآن والسنة النبوية، وفي منهجية علماء الأمة ومن هنا جاءت رغبتي بالكتابة في هذا الموضوع كونه من الموضوعات المهمة والمعاصرة كي نجنب أمتنا الغلو والتطرف، والذي أصبح يهدد شبابنا، ويمزق وحدتنا، وقد سبقني في هذا الموضوع كتاب كثر منهم، د. احمد ولد أمحمد سيدي بعنوان (مظاهر الوسطية من خلال السيرة النبوية)[1]، والسيدة معامرة محمد بعنوان (الوسطية في ضوء السيرة النبوية)[2]، و د.محمد أبو اقاسم بعنوان (الوسطية في فهم نصوص السنة النبوية)[3]، هذا وقسمت الموضوع، على مبحثين رئيسين تناولت في الأول منهما مفهوم الوسطية في اللغة والاصطلاح، وقسمته على أربعة مطالب، أما المبحث الثاني فقد اشتمل على بيان مفهوم الوسطية والاعتدال في العقيدة الإسلامية وقسمته على خمسة مطالب، وخصصت المبحث الثالث للحديث عن الوسطية في الهدي النبوي الشريف وقسمته على أربعة مطالب، ثم أنهيت البحث بخاتمة توصلت فيها إلى أهم النتائج.

المبحث الأول
مفهوم الوسطية لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف الوسطية في اللغة

الوسطية لغة: قال ابن فارس رحمه الله: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدل الشيء أوسطه ووسطه [4] قال الخليل الفراهيدي رحمه

(١) مجلة أقلام الهند، ع٣، ٢٠١٩م.

(٢) رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، ٢٠١٩م.

(٣) مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا – كلية دار العلوم، ع٢٤، ٢٠١١م.

(٤) ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ٦ / ١٠٨

الله: (الوسط، مخففا يكون موضعا للشيء، نقول: زيد وسط الدار، فإذا نصبت السين صار اسما لما بين طرفي كل شيء، ووسط فلان جماعة من الناس، وهو يسطهم إدا صار وسطهم، وفلان وسيط الحسب في قومه، وفلان وسيط الدار، وامرأة وسيطة والوسط من الناس وكل شيء أعدله، وأفضله، ليس بالغالي ولا المقصر)[١]، وقال ابن منظور رحمه الله: (وسط الشيء ما بين طرفيه، واعلم ان الوسط قد يأتي صفة وان كان أصله اسما من جهته ان اوسط الشيء افضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، وأما الوسط بسكون السين فهو ظرف، لا أسم، تقول وسط القوم أي بينهم ووسط الشيء وأوسطه اعدله)[٢].

وقال الفيومي رحمه الله الوسط بالتحريك المعتدل يقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء وعبد وسط وأمة وسط وشيء أوسط وللمؤنث وسطى بمعناه[٣] وقال الطبري: وأما الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال: فلان وسط الحسب في قومه أي متوسط الحسب إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه[٤]

نستخلص من هذا الشرح معنىً دقيقاً يجب أن يعيه دعاة الوسطية فكلمة وسط في لغة العرب ليس هو النقطة التي تنصف المستقيم وسط الشيء يقال له اعلاه ووسط الشيء هو اعدله وهو خيريته، وهو التوازن المحمود الذي يعصم الفرد من ان يقع فريسة في الغلو والتطرف، يقول الشاعر العربي ابو تمام الطائي :

كانت هي الوسط المحمي فانفرقت

بها الحوادث حتى اصبحت طرفا [٥]

وقال الشاعر زهير بن أبي سلمى في المدح

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

اذا نزلت أحد الليالي العظائم [٦]

أي هم أهل عدل يقبل الناس بحكمهم في النوازل والملمات.

المطلب الثاني: تعريف الوسطية في الاصطلاح

(هي الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بلا إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة) [٧]

(١) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، العين، تحقيق محمد المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال . ٧/ ٢٧٩

(٢) محمد بن مكرم بن علي الامام العلامة اللغوي جمال الدين الأفريقي المصري المعروف ببن منظور (ت ٧١١هـ) ٧/ ٧٢٩.

(٣) أبو العباس حمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، (ت ٧٧٠هـ) المصباح المنير لأبي العباس، الناشر :المكتبة العلمية – بيروت، ٢ / ٥٦٨.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، ٢/ ٨

(٥) الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ)، شرح ديوان أبي تمام الطائي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف القاهرة، بلا، ط٤ ٢ / ١٢٥

(٦) وهبه الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، دار النشر دمشق، بلا تاريخ، ط١، ص ٦ نقلا من ديوان الشاعر العربي زهير بن ابي سلمى

(٧) الرئاسة العامة لأدارت البحوث العلمية والدعوة

وعرفها الشيخ القرضاوي بقوله: (هي التوازن ونعني بها التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل ولا يأخذ أحد الطرفين اكثر من حقه)[1] وعرفتها د.عقيلة حسن :هي منهج الصحابة الكرام في العلم والعمل بهذا الدين الحنيف في جميع الميادين العقائد، العبادات، المعاملات، الأخلاق مع الاعتدال وتوازن نفسي والاستقامة فكرا وفقها وفتوى وقضاء حوارا ودعوة من غير افراط ولا تفريط .فهي خصلة لهم وصفة لهده الشريعة الغراء بنص القرآن عموما وصفة لهده الأمة في كل زمان ومكان إن سارة على هذا المنهج[2]

مما سبق ذكره يتبين ان مصطلح الوسطية انما يعني الاعتدال والتوازن بين الغلو والتقصير والافراط والتفريط والاسراف والتقتير، فكل أمر له طرفان مذمومان ،إما الى إفراط أو تفريط والوسط هو التوازن بينهما.

المطلب الثالث: مصطلح الوسطية في القران

إذا أردنا أن نؤصل لمفهوم الوسطية في القران الكريم لا بد لنا أن نرجع الى كتاب الله سبحانه وتعالى نستقي منه الهدي والنور، والذي يقرأ القران الكريم يجد ان الوسطية حاضرة في كتاب الله لفظا ومعنى اما اللفظ فقد جاء في خمسة مواضع ففي سورة البقرة جاء في موضعين هما قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] وقوله تعالى:﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[4] ووردت في سورة المائدة بصيغة (اوسط) في قوله تعالى:﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾[5] وبنفس الصيغة جاءت في سورة القلم في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾[6] واخيرا وردت في سورة العاديات في قوله تعالى:﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾[7] اما المعنى في كلمة (وسطا) في الآية ١٤٣ من سورة البقرة فقد جاء في تفسير الطبري: فضلناكم على من سواكم من اهل الملل[8] وفي تفسير ابن كثير: (جعلناكم خير الأمم لتكونوا شهداء على

والارشاد، مجلة البحوث الاسلامية، ١٦ / ١٧٥

(١) القرضاوي، يوسف بن عبد الله المعروف بالقرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسلة، ط١٠ (لبنان ٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ) ص ١٧٥

(٢) دكتورة عقيلة حسين، الوسطية في السنة النبوية، دراسة تأصيلية مصطلحية، دار ابن حزم ط١ (لبنان، ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ) ص ٩١

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية ١٤٣

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٣٨

(٥) سورة المائدة، جزء من الآية ٨٩

(٦) سورة القلم، جزء من الآية ٢٨

(٧) سورة العاديات، الآية من ١ الى ٥

(٨) الطبري، جامع البيان ٢ / ٨

الأمم يوم القيامة) [١] وفي معالم التنزيل جاءت كلمة وسط: (بين الغلو والتقصير)[٢] فهي تعني الأفضلية والشرف والمكانة والنفاسة والخيرية والعدالة، وفي قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) العلماء في هذه الآية وقفوا وقفات متعددة قال بعضهم هي صلاة الظهر لأنها تتوسط صلاة النهار[٣] وجاء في تفسير الطبري أنها صلاة العصر لأنها تتوسط صلاتين قبلها وصلاتين أو أنها صلاة المغرب لأنها تقع في طرف النهار أو أنها صلاة العشاء لأنها آخر الليل، أو أنها صلاة الصبح لكونها بين صلاة الليل والنهار[٤] لكن الصحيح هي صلاة العصر لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا)[٥] وجاءت كلمة (أوسط) في سورة المائدة بمعنى البينية والتوسط بين الرديء وبين الجيد بين المرتفع والمنخفض في السعر كما قال الزمخشري أوسطه اقصده[٦] أي لم يسرف ولم يقتر، وفي قوله تعالى في سورة القلم (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) والمراد بكلمة (أوسطهم) هنا ليس اصغر سنا كما يقال بل أعدلهم قولا وعقلا وخلقا[٧] أما قوله

تعالى (فوسطن به جمعا) (أي الخيل عندما تتوسط جموع الأعداء)[٨].

وهناك مواضع أخرى في القرآن الكريم تعرضت للفظة الوسطية لكن ليس بصريح اللفظ وانما بالمعنى منها قوله تعالى على لسان موسى في سورة البقرة (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) فالفارض هي الكبيرة والبكر هي الصغيرة لكن لا هذه تصلح للذبح الذي أراده الله ولا تلك التي أرادها تصلح للذبح ولذلك قال ربنا على لسان سيدنا موسى (عوان بين ذلك) أي وسط بين هاتين، وتحدث الله سبحانه وتعالى عن الأنفاق في وصف أهل الأيمان فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي المعروف ببن كثير (ت ٧٧٤هـ) تفسير القران العظيم، دار الكتب العلمية ط١ (بيروت، ١٤١٩هـ) ١ / ١٨١

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء المعروف بالبغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، ط١ (بيروت، ١٤٢٠ هـ) ١/ ١٢٢

(٣) تفسير القرطبي، ٣/ ٢٠٩

(٤) تفسير الطبري، ٥ / ١٨٦

(٥) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، (١٩٧٢م) كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلَاةُ الْعَصْرِ، ١ / ٤٣٧، رقم الحديث: ٦٢٧

(٦) أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد المعروف بالزمخشري (ت ٥٣٨هـ) الكشاف، دار الكتاب العربي، ط٣ (بيروت، ١٤٠٧هـ) ١ / ٦٤٠

(٧) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المعروف بابن عطية (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤٢٢هـ) ١٥ / ٣٢

(٨) محمد بن الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس، ١٣٩٣هـ) ٣٠٩ / ٥٠١

ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1] بعيدا عن الإسراف والتبذير وبعيدا عن الشح والتقتير وكذلك قول ربنا:﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[2] أي لا تكن كمن يجهرون في قراءتهم في صلاتهم بالليل ولا من الذين يخفتون اصواتهم وابتغي بين ذلك سبيلا وأيضا في قوله سبحانه وتعالى﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[3] أي كن وسط بين الطرفين المذمومين[4] ومثلها في قوله تعالى:﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[5] وقد تكلم ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآية الكريمة على معنى التبذير ووجه النهي عن التبذير مبينًا مقصد الشريعة من النهي عنه، فذكر أن التبذير تفريق المال في غير وجهه، وهو مرادف الإسراف، فإنفاقه في الفساد تبذير، ولو كان المقدار قليلاً، وإنفاقه في المباح إذا بلغ حد السرف تبذير[6].

يتبين مما سبق ذكره من الآيات ان الوسطية مفهوم جامع لمعاني العدل والاستقامة فهي حق بين باطلين واعتدال بين طرفين وعدل بين ظلمين فالوسطية منهج رباني لأنها تقدم الإسلام على حقيقته دون إفراط أو تفريط، ولا تطرف أو مغالاة أو شذوذ، ولا تهاون أو تقصير، ولا استكبار ولا خنوع أو ذل واستسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى. ولا تشدد أو إحراج، ولا تساهل في حق من حقوق الله، ولا تعصب ضد الآخرين أو إقصاء لهم، أو رفض أو اكراه أو إرهاب أو ترويع بغير حق فلا اكراه في الدين،ولا إهمال في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .ولا تعسير ولا إرهاق، بل تيسير ورفع للحرج والمشقة، والأخذ باليسر كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[7] وقال أيضاً : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[8]، إنها دعوة للتوازن بين المادي والروحي لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[9] وهي أيضاً دعوة لتحقيق التكافل الاجتماعي فلا يطغى الأغنياء فيطحنون الفقراء، ولا يحشر الفقراء في الضيق لقوله صلى الله عيه وسلم: (كاد الفقر أن يكون كفرا)[10].

(١) سورة الفرقان، اية ٦٧
(٢) سورة الأسراء، اية ١١٠
(٣) سورة لقمان، اية ١٩
(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي ،ط٢(بيروت . ١٤٢٠هـ) ٢٥ / ١٥٠
(٥) سورة الأسراء، اية ٢٦
(٦) التحرير والتنوير، ١٥ / ٧٩
(٧) سورة البقرة، آية ١٨٥
(٨) سورة الحج، آية ٧٨
(٩) سورة القصص، آية ٧٧
(١٠) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ٥ / ٢٦٧

المطلب الرابع: مصطلح الوسطية في السنة النبوية الشريفة

ورد لفظ الوسط ومُشتقاته في بعض الأحاديث، وفي جميعها لم يخرج عن المعنى الذي ذكرناه آنفًا، والذي أجمع عليه علماء اللُّغة والتفسير.

الحديث الأول

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (خطَّ لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خطًّا، ثم قال: هذا سبيلُ الله ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شمالِه، وقال :هذه سبلٌ متفرقة، على كلّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)[١]

وجه الدلالة: يفهم من كلامه صلى الله عليه وسلم أن الحديث يفيد وجوب الاجتماع ونبذ الخلاف والفرقة والسير على السراط الوسطي المستقيم[٢].

الحديث الثاني

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : (يُجاء بنوحٍ يوم القيامةِ، فيقال له: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعَم يا رب، فتُسأل أمتُه: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذِيرٍ، فيقول: مَن شهودُك؟ فيقول: محمَّدٌ وأمتُه، فيُجاء بكم، فتشهدون، ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) قال: عَدْلًا، لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)[٣]

وجه الدلالة: فالوسط في هذا الحديث هو العدل، وهو المقابل للظّلم، وأمّة محمد – صلى الله عليه وسلم– سيشهدون بما علموا من صدق الأنبياء، وهذا هو الحق والعدل.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ) [٤]

وجه الدلالة: قال الحافظ ابن حجر: المراد بالأوسط هنا الأعدال والأفضل، كقوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، فعلى هذا فعطفُ الأعلى عليه للتأكيد[٥]

---

(١) أبو عبد الله احمد بت محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) مسند الأمام احمد، تحقيق احمد شاكر، دار الحديث ط١ (القاهرة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م) ١ / ٤٣٥

(٢) الآراء الاصوية للامام القرطبي، أحمد عيسى يوسف العيسى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٩٧١، ص ٣٢٦:

(٣) ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢١٥٦هـ) الجامع المسند الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطًا)، تحق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٩ / ١٠٧ رقم الحديث (٧٣٤٩(

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، ٤ / ١٦ رقم الحديث (٢٧٩٠)

(٥) أبن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ٦ / ١٣

الحديث الرابع

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إذا وضع الطَّعام، فخذوا من حافته، وذروا وسطه، فإنَّ البركة تنْزل في وسطه) [1] ولا شك أنَّ وسط القصعة أجودها، وأكثرها بركة؛ كما في الحديث الآخر: (كلوا من جوانبها، وذروا ذروتها، يبارَك فيها)[2]

وفي السُّنة هناك الكثير من الروايات ما يؤكد استقامة الرسول صلى الله عليه وسلم على منهج الوسطية ورفضه أن تكون هناك مغالاة في العبادة أو السلوك، منها:

١- عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنَّ هذا الدِّين مَتينٌ، فأوغِل فيه برفقٍ، ولا تُبغِّض إلى نفسِك عِبادة الله؛ فإن المُنبَتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى)[3]

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْالدُّلْجَةِ)[4]

٣- عن انس بن مالك قال: (دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل قالوا: هذا الحبل لزينب إذا فترت تعلقت به، فقال: حُلُّوه، فليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد)[5] .

٤- ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي .فرأى سلمان أم الدرداء وهي شعثة فقال لها :ما شأنك؟ قالت :أخوك أبو الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار، فقال سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك صدق سلمان عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه قال صلوات الله وسلامه عليه: (صدق سلمان)[6]

٥- عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عمرو قال أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى أقول والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فقلت له قد قلته بأبي أنت وأمي قال: (فإنك لا تستطيع ذلك فصم و أفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر قلت إني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر يومين قلت

(١) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحق محمد فؤاد عبد الباقي (مصر، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م)، ٢/ ٢٢٦، رقم الحديث (٢٦٥٠)، المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٦، رقم الحديث (٢٦٤٨)

(٢) أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى المعروف بالبيهقي (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى تحقيق، محمد عبد القادر ،دار الكتب العلمية، بيروت ط٣(لبنان ،١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣هـ) ٣/ ١٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، ١/ ١٦ .

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب الصوم، باب ما يذكر من صوم النبي وافطاره ،٧/ ٣٠٢، رقم الحديث (١٩٧٢) .

(٥) البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ٤/ ٤٣٠، رقم الحديث (١١٥٠) .

(٦) مسلم، الصحيح، كتاب الطلاق، باب أن تخير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، ٤/ ١٧٨، رقم الحديث (٣٧٦٣).

إني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام) .

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً)[١]، وقال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن يسّرا ولا تعسّرا – بشّرا ولا تنفّرا)[٢] وقال: (إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز فيهما كراهية ان اشق على امه)[٣].

ومن خلال ما تم ذكره من الاحاديث أن الدين الإسلامي قائم على اليسر والسماحة وترسيخ الاعتدال فكراً وسلوكاً، وقد كانت للتوجيهات النبوية الشريفة أعظم النتائج في نشر الإسلام وفضائله وحب الناس له، ودخولهم في دين الله أفوجاً بسبب اعتداله، ووسطيته، و عظمته، وسماحته.

المبحث الثاني
الوسطية والاعتدال في القران الكريم في مجال العقيدة

تظهر الوسطية في العقيدة أشد الوضوح، وهي من أبرز خصائص العقيدة الإسلامية، والتي يعبر عنها بالتوازن، فهي لا تميل إلى الغلو، ولا تجنح إلى التفريط، وإنما تقف الموقف الوسط في كل القضايا الإيمانية ويتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾[٤] فعقيدة أهل السنة والجماعة والتي هي عقيدة الإسلام الصحيحة وسط بين عقائد فرق الضلال المنتسبة إلى دين الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة وسط بين فريقين آراؤهما متضادة، أحدهما غلا في هذا الباب والآخر قصر فيه، أحدهما أفرط والثاني فرط، فهي حق بين باطلين: فأهل السنة في جميع أمورهم وسط منها :-

المطلب الأول: الأسماء والصفات:

ففي أسماء الله وصفاته وسط بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل التشبيه فأهل التعطيل غالوا في التنزيه وأخذوا نصف الدليل، وهو قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فقط، حتى أن غلاتهم كالجهمية لم يثبتوا لله صفة، فهم ينكرون جميع صفات الله[٥]، وأهل التمثيل التشبيه الذين غالوا في الإثبات أمثال الحشوية الذين . قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية، وإما جسمانية. ويجوز عليه الانتقال والنزول

(١) البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ١١/ ٩٥، رقم الحديث (٣٠٣٨)،

(٢) مسلم، الصحيح ، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ،٥/ ١٤١، رقم الحديث (٤٦٢٣) .

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ٣/ ١٩٤، رقم الحديث (٧٠٧) .

(٤) سورة الرحمن، اية ٧-٩

(٥) أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، (ت٢٨٠هـ)، الرد على الجهمية، تحقيق: بدر عبد الله ابدر، ط٢، دار ابن الاثير، الكويت – ١٤١٨هـ، ١ / ١٩٣

والصعود والاستقرار والتمكن[1]، وأما أهل السنة والجماعة فهم ينـزهون الله عن مشابهته لخلقه، مع إثباتهم لصفاته تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه الكريم، أو بما جاء في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة بلا سؤال عن كيف، فيقولون على سبيل الذكر لا الحصر إنه سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا نزولا يليق به سبحانه مثلما أخبرت به النصوص الصحيحة، فهم ينكرون التشبيه، وينكرون التمثيل، ويقولون من شبه الله بخلقه فقد كفر[2] ولا يقولون متأولين أنه نزول الرحمة والثواب، وهذا الاعتقاد يسري في بقية الصفات الفعلية لله سبحانه مثل المجيء والإتيان وغيرها لأنه سبحانه العلي الأعلى، الواحد الأحد الفرد الصمد﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[3] لم يكن له والدة ولا صاحبة،﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾[4] سبحانه وتعالى﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ﴾[5] له من صفات الكمال والجلال والجمال ما يليق بربوبيته وألوهيته، فهو سبحانه:﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[6] ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾[7]. وقال تعالى جل شأنه:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ ﴾[8] قال ابن تيمية: فالمسلمون وحدوا الله، ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله[9].

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة

وتتضح وسطية الإسلام في الإيمان بالملائكة، حين ندرك أن الملائكة في الإسلام ليسوا شركاء ولا انداداً لله تعبد، ولا إناثا اتخذها الرحمن بناتا له، وأمام هذه التصورات المنحرفة ذات اليمين وذات الشمال، وقف الإسلام موقفا وسطا، فلم ينفِ وجود الملائكة، ولم

(١) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، الناشر: مؤسسة الحلبي، ١/ ١٠٥.
(٢) محمد بن صاح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها، دار الشريعة، ط١، ١٤٢٤هـ، ١ / ٣٠.
(٣) سورة الإخلاص، اية ٣ – ٤
(٤) سورة الجن، اية ٣
(٥) سورة الأنعام، اية ١٠١
(٦) سورة الأنعام، اية ١٤
(٧) سورة الشورى، اية ١١
(٨) سورة المائدة، اية ٧٣
(٩) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم، الحنبلي، الدمشقي، المعروف بابن تيمية، (ت ٧٢٨هـ) منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، ٢/ ١١١ .

يجعل الملائكة بناتا لله كما فعل المجحفون، وإنما ألزم المؤمن أن يعتقد بكون الملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها، ولا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف(١).

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله

وهي كذلك وسطية في الإيمان بكتب الله تعالى، فلم تقف الأمة موقف المنكر الجاحد لما أنزل الله على رسله وأنبيائه، ولا موقف المستهزئ المستهتر المحرف المبدل لما أنزل الله سبحانه، وإنما كان موقفها الإيمان بكل ما نزل على رسل الله تعالى﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ ﴾(٢).

المطلب الرابع : الإيمان بالرسل

وأما وسطية الأمة في الإيمان بالرسل فتتجلى واضحة بين إفراط المفرّطين، وتقصير المقصرين، فلم ترفع الأنبياء إلى مقام الربوبية أو الألوهية، فيستعينوا بهم أو يستغيثوا بهم أو يطلبوا منهم، كما اعتقد البعض في أنبيائهم، قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾(٣) تعالى الله عما يقولون ولم تنزل بهم إلى مستوى الرعاع من الناس فينسبوا إليهم من الموبقات والمنكرات ما يترفع عنه الأسوياء من البشر، كما فعل البعض كذلك مع أنبيائهم تعالى:﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾(٤).

المطلب الخامس: الوسطية في الإيمان باليوم الآخر

وأما وسطية الأمة في الإيمان باليوم الآخر؛ فقد حازت عليها الأمة، فلم تنكر الإيمان بهذا اليوم، ولم تؤمن به إعادة للأرواح دون الأجساد، ولا للأجساد دون الأرواح، ولا تخيلت الإيمان بنعيمه وعذابه نعيما معنويا أو عذابا معنويا قال تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً

(١) الدكتور محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه، حقيقته نواقضه، دار الفرقان للنشر والتوزيع، بلا تاريخ، (٢٠١٣م) ص ١٩ .

(٢) سورة البقرة، اية ٢٨٥

(٣) سورة المائدة، اية ١٧

(٤) سورة ال عمران، اية ١٨١، جاء في سبب نزول الآية لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [الْبَقَرَةِ:٢٤٥] قَالَتِ الْيَهُودُ: يَا مُحَمَّدُ، افتَقَرَ رَبُّكَ. يَسأل عِبَادَهُ الْقَرْضَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾

أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ (١)

المبحث الثالث
الوسطية في الهدي النبوي الشريف

تتجلى مظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في نواحي الحياة البشرية كلها، وفيما يلي نشير إلى نماذج من المسائل التي تتجلى فيها بعض مظاهر الوسطية المثلى وملامح الاعتدال السوي وأساليب التوازن الفطري وأوصاف العدل الاجتماعي في ضوء سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وشمائله

المطلب الأول: وسطيته صلى الله عليه وسلم في مجال العقيدة :

ففي سيرته عليه افضل الصلاة والسلام وردت الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على وسطية العقيدة وسماحتها منها :-

١- عن عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)(٢)

٢- وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وحينها كان بارزا للناس فقال وذكر منه (الإسلام :أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا)(٣)

٣- عن أبي مالك، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: (من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)(٤).

ومن وسطيته صلى الله عليه وسلم في الترخيص لأصحابه المستضعفين النيل منه عند تعرضهم للعذاب الشديد على أيدي مشركي قريش في بداية الدعوة مع بقاء الإيمان راسخا في قلوبهم أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسر وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قبلها، فقتلت وقتلوا ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فعن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال: (أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوه، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأسراء، اية ٤٩ - ٥٢

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، (١٩٧٢م)، كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار . ٢٦ / ٥٥

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ماهو وبيان خصاله، ١ / ٣٠ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله،١ / ٣٩.

كيف تجد قلبك؟ قال مطمئن بالإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن عادوا فعد)[١] وبسبب هذه القصة نزل قوله عز وجل﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٢] هذه الآية الجليلة تؤكد واقعية الإسلام ووسطيته في أعظم قضاياه، وهي قضية العقيدة والإيمان والكفر بالله تعالى، ومراعاة أحوال المسلم، فإذا أكره على الكفر ولم يجد بداً من أن ينطق بكلمة الكفر فلا حرج عليه في ذلك ما دام قلبه مطمئنا بالإيمان، ولقد ضرب رسول الله أروع الأمثلة في العفو والتسامح حتى مع عدوه، روى ابن هشام أن فضاله بن عمير الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضالة قال: نعم فضالة يا رسول الله قال: ماذا كنت تحدث به نفسك قال: لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أستغفر الله ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه فكان فضاله يقول: ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب الي منه)[٣].

المطلب الثاني: وسطيته صلى الله عليه وسلم في مجال العبادات

شرع الله عزوجل العبادة وبين أنها الغاية من خلق الجن والأنس، قال الله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٤] وبما أن الله عزوجل خبير بعباده عليم بما يصلح لهم وما لا يصلح لهم فقد جآءت العبادة بين رهبانية النصارى ومادية اليهود لا تشدد فيها ولا غلو ولا تقصير ولا جفاء بل إعتدال وتوازن، وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطريق لأمته حتى يسلكوه وهو سبيل التوسط المناسب للفطرة المؤدي إلى المداومة على العبادة دون ملل وسآمة وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه من خلال نصحائه وتوجيهاته، وأمرهم بالإقتداء به، وذلك بعدم مخالفته بالزيادة أو النقصان إنما هو حسن الإتباع والإقتداء ففي الصلاة مثلاً إذا كان المسلم صحيح البدن، فعليه أن يصلي الصلاة بجميع شروطها وأركانها، فإن عجز عن الوقوف لمرض أَلَمَّ به صلى قاعداً، فإن عجز عن ذلك صلى على جنبه أو مستلقياً، فإن لم يستطع ذلك أخطر أعمال الصلاة على قلبه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد في العبادة والأمر بالأقبال عليها بالنشاط روى البخاري ومسلم عن انس بن مالك قال: (دَخَلَ النبيُّ صلَّى

(١) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب المرتد، باب المكره على الردة، ٨ / ٢٠٨

(٢) سورة النحل، اية ١٠٦

(٣) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م، ٢ / ٤١٧، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت، ٥٨١هـ)، الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر، دار احياء التراث العربي، ط ١ (بيروت ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ٢ / ١١١ .

(٤) سورة الذاريات، اية ٥٦

اللهُ عليه وسلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقالَ: ما هذا الحَبْلُ؟ قالوا: هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)[1] وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ان الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)[2] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[3] ومن معالم وسطيته صلى الله عليه وسلم مراعاة احوال الناس والتخفيف عنهم في أهم شعيرة من شعائر الإسلام الا وهي الصلاة فقد روى البخاري في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه قال: (ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه)[4] وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: أقبل رجل من الأنصار ومعه ناضحان له وقد جنحت الشمس ومعاذ يصلي المغرب فدخل معه الصلاة فاستفتح معاذ البقرة أو النساء فلما رأى الرجل ذلك صلى ثم خرج، قال فبلغه ان معاذا نال منه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أفتان أنت يا معاذ، أفتان أنت يا معاذ فلولا قرأت سبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، فصلى وراءك الكبير وذو الحاجة والضعيف)[5]

ويجب ان تكون صلاة الأمام متوسطة بين الأفراط والتفريط أي بين التطويل والتقصير روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (كنت أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا)[6]

وإذا كان منهج الوسطية والاعتدال يتجلى في كل شعائر الإسلام، فإن الحج بوصفه من أعظمها إن لم تتوفر فيه شروطه من النفقة له ولأهل بيته أثناء حجه، ولم يتوافر له أمن الطريق وصحة البدن فلا حج عليه حتى تتحقق له الاستطاعة التي اشترطها الله تعالى لمن

(١) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، ١/ ٣٨٦
(٢) المصدر نفسه، كتاب :الإيمان، باب :الدين يسر، ١/ ٧٨
(٣) أ خرجه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ١٧ / ٨٤
(٤) اخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي ١/ ١٤٣
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، باب من شكى إلى إمامه إذا طول حديث ٣/ ١٩٠
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب :الجمعة، باب :تخفيف الصلاة والخطبة، ٣/ ١١

ينوي الحج، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١] عَنْ أَبِي رَزِينٍ العُقَيْلِيِّ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لاَ يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلاَ العُمْرَةَ، وَلاَ الظَّعْنَ، قَالَ: حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ)[٢] وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: (جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن أمي ماتت ولم تحج، أفاحج عنها قال: نعم حجي عنها)[٣] وروى ابو داوود عن عبدِ الله بن عباس، قال: (كان الفضلُ بنُ عباس رَديفَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم، فجاءته امرأةٌ مِن خَثْعَم تستفتيه، فجعل الفَضلُ ينظر إليها وتنظر إليه، فجعلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم يصرفُ وجه الفضلِ إلى الشق الآخرِ، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله عز وجل على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيعُ أن يَثبُتَ على الراحلةِ، أفأحُجُّ عنه؟ قال «نَعَمْ» وذلك في حجَّة الوَدَاع)[٤].

ومن تجليات وسطية الإسلام في فريضة الصيام أنه رفع الحرج عن المسلم المريض الذي يشق عليه الصوم، أو يزيد مرضه بالصوم أو يتأخر شفاؤه بسبب الصوم، فله أن يفطر حتى يشفى من مرضه، فيصوم ما أفطر من أيام، وله أن يقصر الصلاة ويجمعها في السفر، ويفطر ويقضي بعد ذلك قال تعالى﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[٥] وفي السنة عن أنس بن مالك الكعبي رضي الله عنه قال: (أغارَتْ علينا خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فوجدتُه يتغدَّى، فقال: ادنُ فكُلْ، فقلت: إني صائم، فقال: ادْنُ أحدِّثك عن الصوم أو الصيام، إن الله تعالى وضَع عن المسافر الصومَ وشطرَ الصلاة، وعن الحاملِ أو المُرضِع الصومَ أو الصيام، والله لقد قالهما النبي صلى الله عليه وسلم كلتَيْهما أو إحداهما، فيا لهفَ نفسي ألا أكون طعِمت من طعام النبي صلى الله عليه وسلم)[٦].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: (سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى

(١) سورة ال عمران، اية ٩٧

(٢) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق، بشار عواد، دار النشر الغرب الاسلامي (بيروت ،١٩٩٨م) ٣/ ٢١٦

(٣) المصدر نفسه، حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف دار الفكر للطباعة والنشر، ٣/ ٢٠٤

(٤) أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق، شعَيب الأرنؤوط محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية ٣/ ٢١٥

(٥) سورة البقرة، اية، ١٨٥

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الرخصة في الإفطار ٢/ ٨٦

الله عليه وسلم إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ، قَالَ: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلم : إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ، فَكَانَتْ رُخْصَةً، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فَقَالَ :إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا، فَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتَنَا نَصُومُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ رَسُولِ اللهِّ صلى الله عليه وسلم فِي السَّفَرِ)[1]. وروا الحسن البصري وإبراهيم النخعي رحمهما الله تعالى (ان أنس بن مالك رضي الله عنهما لما كبر أطعم عن كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر عاماً أو عامين)[2] .

إذاً، فأداء التكاليف والعبادات مرتبط بأحوال المسلم، فإذا تغيرت أحواله من الصحة إلى المرض، ومن القدرة إلى العجز، ومن الإقامة إلى السفر، فإن الإسلام يراعي كل هذا، ويخفف من شروط أداء العبادات عليه حتى يعود إلى أحواله العادية.

ومن وسطية الإسلام ويسره أنه رفع الحرج عن المسلم، فأباح له أن يأكل شيئاً من الحرام حين يكون مضطراً، قال تعالى: (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم)[3] قال ابن قدامة: (ومن اضطر إلى الميتة فلا يأكل منها إلا ما يأمن معه الموت)[4] .

المطلب الثالث: وسطيته صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أهل بيته واصحابه

لقد بعث الله تعالى أنبيائه ورسله الى البشر لأجل أن يصح اقتداء الناس بهم ولو أن الله جعلهم ملائكة ثم أمر الناس أن يقتدوا بهم في طعامهم وشرابهم ولباسهم وفي مشيهم وتعاملهم مع أزواجهم وتربيتهم لأبنائهم لما تمكن الناس من ذلك فأن الملائكة خلقوا من نور وهم من خلق أخر يختلف عن خلق البشر ولذلك أصطفى الله تعالى من الملائكة رسلا ومن الناس فجعل الملائكة رسلا بينه وبين الرسل وجعل الرسل والأنبياء من البشر وهم رسل بين الله تعالى وبين هؤلاء الناس وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أميز هؤلاء الرسل وأمرنا ربنا بالاقتداء به ففال تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[5] فالرسول الكريم قدوتنا وأسوتنا ومنهاجه وهديه نور نهتدي به في طريقنا وسلوكنا إلى الله عز وجل، فهو خير الناس لأهل بيته وأزواجه وعشيرته وقرابته، بل هو خير الناس للناس أجمعين، فقد روة كتب الحديث والسير وسطية الرسول صلى الله عليه وسلم وتعامله مع اهل بيته وصحابته أكمل معاملة وأتمها، وذلك لما جبله الله عليه من الأخلاق والخصال

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصيام، باب اجر المفطر في السفر، ٣ / ١٤٤
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم ١٤/ ٤٨٢
(٣) سورة البقرة، اية ١٧٣
(٤) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الدمشقي الحنبلي (ت، ٦٢٠هـ) المغني (القاهرة ١٣٨٨هـ) ٩/ ٤١٥
(٥) سورة الأحزاب، اية ٢١

الحميدة والصفات الرقيقة ولا عجب في هذا لأن الله تعالى وصفه بقوله﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[١]. ويقول هو صلوات الله وسلامه عليه عن نفسه: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٢] ولما سئلت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي قالت: (كان خلقه القران)[٣] قال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[٤]

(وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً)[٥] وكان يوصي أصحابه بزوجاتهم خيراً ويقول: (إنما هن عوان عندكم)[٦] أي اسيرات ،وفي صحيح البخاري عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: (كان يكون في مهنة أهله تعني في خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)[٧]. وروى أحمد عن عروة قال: (قلت لعائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم)[٨]. وهذا يدل على إعانته لأهل بيته، وهذا التعاون يولد الألفة والمحبة بين الزوج وزوجته. وأما معاملته لخدمه فكانت أحسن معاملة كما يحكي ذلك خادمه أنس بن مالك قال: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشر سنين والله ما قال لي: أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا)[٩]. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتنطلق به حيث شاءت)[١٠]. وهذا يدل على وسطيته وتواضعه الجم مع جميع أفراد المجتمع لا فرق بين عبد مملوك او حر، ومن معالم وسطيته مع أزواجه وحسن خلقه مع أهله وملاطفته لهم وحسن معاشرته لسيدة عائشة رضي الله عنها روى أبو داود في سننه أنها كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر قالت: (فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني. فقال: هذه بتلك السبقة)[١١]، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ،

(١) سورة القلم، اية ٤

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب بيان معالم الأخلاق ومعانيها، ١٠/ ٣٢٣

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٦/ ٩١

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الترمذي، أبو عيسى، (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٩٨م)

(١) (٥) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٢/ ٤٥٢

(٦) المصدر نفسه، ٢/ ٤٥٨

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ٥/ ٢٢٤٥

(٨) أخرجه أحمد في مسنده ،٦/ ١٢١

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، ٤/ ١٨٠٤

(١٠) خرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبر، ٥/ ٢٢٥٥

(١١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، ٣/ ٢٩

وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا. وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِمَّا قَالَ:تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ) فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَاذْهَبِي)[1] وفي رواية الإمام أحمد كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله سلم: (لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ)[2] وعن أنصافه وعدله مع أزواجه ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ)[3] التمس لها صلى الله عليه وآله وسلم عذرا وهي الغيرة، وحفظ لها قدرها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿أُمُّكُمْ﴾، وتعامل مع عائشة بإحسان، وأنصف صاحبة الطبق بدفع الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا. قال ابن القيم: وكان صلى الله عليه وسلم يقسم بينهن في المبيت والإيواء والنفقة. وأما المحبة فكان يقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما لا أملك)[4] وقالت عائشة: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا)[5] ولما كان في مرضه استأذنهن أن يمرض في بيت السيدة عائشة فأذنَّ له وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه[6]

وكانت الهدية إذا جاءته وزع عليهن بالتساوي. فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس: (أن أم سليم أمه بعثته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فجعل يقبض قبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه، ويقبض القبضة فيبعث بها إلى بعض أزواجه.. ثم جلس فأكل بقيته)[7] وهكذا قدم زوجاته على نفسه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، بَابُ الحِرَابِ وَالدَّرَقِ يَوْمَ العِيدِ، ١/ ٣٢٣
(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٦/ ١١٦
(٣) أخرجه البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، باب الغيرة، ٥/ ٢٠٠٣
(٤) أبن القيم، محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزي، (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧ (١٤١٥ه-١٩٩٤م)، ١/ ١٤٥
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب القسم بين النساء، ٢/ ٢٤٢
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، ٢/ ٩١٦
(٧) الفتح الرباني للبنا (٢٢/ ١٤٨) وقال في تخريجه: صحيح ورجاله رجال الصحيحين، وهو من ثلاثيات الإمام أحمد، ولم أقف عليه لغيره.

في التوزيع، ولم يبق له إلا القليل الذي لو أكله المرء لانتهى منه وما زال في نفسه رغبة إليه كما سوى بينهن فكان لكل منهن قبضة. وإذا كنا في صدد الحديث عن الوسطية والعدل، فلا بد أن يستوقفنا حديث البخاري الذي فيه مناشدة أم سلمة وحزبها الرسول صلى الله عليه وسلم العدل في عائشة فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: (أن نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه و سلم عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أخرها حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيت عائشة بعث صاحب الهدية إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في بيت عائشة فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه و سلم يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي رسول الله صلى الله عليه و سلم هدية فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل لها شيئا فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها فكلميه قالت فكلمته حين دار إليها أيضا فلم يقل لها شيئا فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلميه حتى يكلمك فدار إليها فكلمته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة، قالت: فقالت أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله ثم إنهن دعون فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تقول إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب ، قالت بلى فرجعت إليهن فأخبرتهن فقلن ارجعي إليه فأبت أن ترجع فأرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبتها حتى إن رسول الله صلى الله عليه و سلم لينظر إلى عائشة هل تكلم قال فتكلمت عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها قالت فنظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى عائشة وقال: إنها بنت أبي بكر)[1]

ومن عدله مع أبنائه من ولد فاطمة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بليل يسقي ولديه الحسن والحسين، عند زيارته لفاطمة، وفي حضرة علي وفاطمة رضي الله عنهما، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (زَارَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَاتَ عِنْدَنَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ نَائِمَانِ، فَاسْتَسْقَى الْحَسَنُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قِرْبَةٍ لَنَا فَجَعَلَ يَعْصِرُهَا فِي الْقَدَحِ ثُمَّ يَسْقِيهِ، فَتَنَاوَلَهُ الْحُسَيْنُ لِيَشْرَبَ فَمَنَعَهُ وَبَدَأَ بِالْحَسَنِ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: ﴿يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهُ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ﴾، فَقَالَ: ﴿لَا وَلَكِنَّهُ اسْتَسْقَى أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنِّي وَإِيَّاكِ وَهَذَيْنِ وَأَحْسَبُهُ قَالَ وَهَذَا الرَّاقِدُ يَعْنِي عَلِيًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ)[2] أما

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب الهبة وفضلها، باب أهدى الى أصحابه ،٢/ ٩١١

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت ٢٠٤هـ)،

تعامله مع غير زوجاته من نساء الصحابة فكان قمة في الحق والطيب، فقد كان يحث على الرفق بهن، وعلى إعطاهن حقوقهن كاملة، وكان يستمع إلى شكاويهن، وقد بلغ من حرصه على هذا أنه خصص لهن يوما يستقبلهن فيه. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري: (قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها الا كان لها حجابا من النار فقالت امرأة واثنتين فقال واثنين)[1]

هذه ومضات من نور خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ووسطيته وتعامله مع أهل بيته وصحبه عليهم رضوان الله تعالى، اقتصرنا عليها لأجل التمثيل، وإلا فكل لحظات حياته صلى الله عليه وآله وسلم آية في الخلق الرفيع والمعاشرة الطيبة، وحسبنا فيه قول ربنا عز وجل: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ).

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه انجزت هذا البحث، إسأل الله تعالى القدير ان يوفقنا جميعاً لخدمة الإسلام والمسلمين، وفي نهاية هذا البحث توصلت الى اهم النتائج وهي كما يلي:

١- أن لفظة (الوسطية) من كل شيء اعدله وأخيره فخير الأمور أوسطها وتأتي بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي ﴿أمة وسطا﴾ في التصور والاعتقاد، وهي تمثل الجانب السلوكي التطبيقي الذي يظهر خلال المعاملات بين الناس .

٢- الوسطية من أبرز ملامح العقيدة الإسلامية؛ إذ هي موافِقة للحق، ومؤيدة بالحق، وهي مناسِبة للفطرة، لا إفراط فيها ولا تفريط .

٣- الوسطية هي: تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة اللهَّ في خلقه .

٤- خير من يمثل الوسطية ويجسدها والأسوة فيها هو النبي صلى الله عليه وسلم .

٥- الوسطية سمة بارزة من سمات الشرع الحنيف، فهذه الشريعة الربانية متسمة بأنها شريعة السماحة، ورفع الحرج وما يخرج عن هذا المعنى فإنه ينافي الوسطية التي جآء بها الإسلام.

٦- الوسطية ميزة هذه الأمة وصفة لها، ولا تنالها إلا بتحكيم دينها الذي يدعوا إلى التوسط والإعتدال واتباع نبيها الذي جسد ذلك في جميع أقواله وافعاله .

٧- التيسير منهج رباني، ونبوي، وسمة بارزة من سمات هذا الدين، وتتجلى هذه السمة من خلال سيرته صلى الله عليه وآله وسلم، وحرصه على التيسير، حيث كان يحث أصحابه على التيسير في كل مجالات الحياة .

٨- الوسطية وصف شامل ثابت في كل باب من أبواب الدين: العقيدة، العبادات المعاملات،

المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م، ١/ ١٥٦

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حده، ١/ ٥٠

الأخلاق.،

٩- الوسطية في الدعوة الى الله بالأسلوب الذي يعالج كل ما هو منتشر في أوساط المجتمع مما يخالف شرائع الله .

١٠- إنّ الخروج عن هذه الوسطية يؤدي حتما إلى الوقوع في أمر خطير، ألا و هو الغلو أو ما يعرف بالتطرف، و قد حذر النبي صل الله عليه وسلم من هذا الأمر الذي فتك و لا يزال يفتك بالأمم التي تحيد عن الوسط: ففي حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ النبي صل الله عليه وسلم قال: (إياكم و الغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[1]

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- احمد بن الحسين أبو بكر بن علي بن موسى المعروف بالبيهقي (ت ،٤٥٨هـ) السنن الكبرى تحق، محمد عبد القادر ،دار الكتب العلمية، بيروت ط٣(لبنان ،١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ه).
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم أبو العباس، الحنبلي، الدمشقي، المعروف بابن تيمية، (ت، ٧٢٨هـ) منهاج السنة، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١ (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م).
- احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب ابو الحسن الرازي اللغوي (ت، ٣٩٥ هـ) مقايس اللغة، تحق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ).
- أسماعيل بن عمر أبو الفداء البصري ثم الدمشقي المعروف بأبن كثير (ت ٧٧٤هـ) تفسير القران الكريم، دار الكتب العلمية ط١ (بيروت، ١٤١٩هـ).
- الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أبو محمد المعروف بالبغوي (ت، ٥١٠هـ) تحق عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، ط١ (بيروت، ١٤٢٠ هـ)
- حمد بن محمد بن علي أبو العباس الفيومي الحموي، (ت، ٧٧٠هـ) المصباح المنير لأبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت، ١٧٠هـ)، العين، تحفد محمد المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الرئاسة العامة لأدارت البحوث العلمية والدعوة والارشاد، مجلة البحوث الإسلامية.
- سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت، ٢٧٥هـ) تحقيق، شعَيب الأرنؤوط محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية.
- سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١/ ٣٤٧

البصري مسند أبي داود الطيالسي، (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام أبو محمد الأندلسي المعروف بأبن عطية (ت ،٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤٢٢هـ).
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو القاسم السهيلي (ت، ٥٨١هـ)، الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر، دار احياء التراث العربي، ط ١ (بيروت ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).
- عبد الله احمد بن محمد بن حنبل أبو بن هلال بن اسد الشيباني (ت ،٢٤١هـ) مسند الأمام احمد، تحق احمد شاكر، دار الحديث ط١ (القاهرة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م).
- عقيلة حسين، الوسطية في السنة النبوية، دراسة تأصيلية مصطلحية، دار ابن حزم ط١ (لبنان، ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ).
- الله محمد بن يزيد أبو عبد القزويني (ت، ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحق محمد فؤاد عبد الباقي (مصر، ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م).
- محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين أبن القيم، الجوزي، (ت: ٧٥١ه)، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧ (١٤١٥ه-١٩٩٤م).
- محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري (ت، ٢١٥٦هـ) الجامع المسند الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب (وكذلك جعلناكم أمة وسطًا)، تحق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- محمد بن الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت، ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر (تونس، ١٣٩٣هـ).
- محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (ت، ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة (بيروت ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).
- محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي (ت . ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي ،ط٢(بيروت . ١٤٢٠هـ).
- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى، الترمذي، (ات،٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحق، بشار عواد، دار النشر الغرب الاسلامي (بيروت ،١٩٩٨م).
- محمد بن مكرم بن علي الامام العلامة اللغوي جمال الدين الأفريقي المصري المعروف ابن منظور (ت، ٧١١هـ).
- محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه، حقيقته نواقضه، دار الفرقان للنشر والتوزيع، بلا (٢٠١٣م).
- محمود بن عمرو بن احمد أبو القاسم المعروف بالزمخشري (ت، ٥٣٨هـ) الكشاف، دار الكتاب

العربي، ط٣ (بيروت، ١٤٠٧هـ).

- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، (١٩٧٢م).
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ،٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، ط٢، بيروت، (١٩٧٢م).
- موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة أبو محمد، الدمشقي الحنبلي (ت، ٦٢٠هـ) المغني (القاهرة ،١٣٨٨هـ).
- وهبه الزحيلي، وسطية الإسلام وسماحته، دار النشر دمشق، بلا، ط١.
- يحيى بن علي المعروف، ابو زكريا المعروف بالخطيب التبريزي (ت، ٥٠٢ هـ)، شرح ديوان أبي تمام الطائي، تحق محمد عبده عزام، دار المعارف القاهرة، بلا، ط٤.
- يوسف بن عبد الله القرضاوي، المعروف بالقرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسلة، ط١٠ (لبنان ٢٠٠١م – ١٤٢٢هـ).